



تجليات الأنا والآخر في شعر العميان في الأندلس الحصري القيرواني والأعمى التطيلي أنموذجاً

م. دياسر فاضل مشرف

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

Iraqyes1@gmail.com

07902964379

تاريخ الاستلام : 2021-09-15

تاريخ القبول : 2022-02-19

ملخص البحث:

يفسر الباحث تجليات الأنا والآخر في شعر شاعرين من عميان الأندلس ، وهما الحصري القيرواني والأعمى التطيلي ، في دراسة نفسية من خلال التركيز على النصوص الأدبية التي تنسجم مع ما يعلنان به من مفردات وصور تعكس الأنا الشاعرة مع الآخر الذي يعبر عنه سواء أكان مع المرأة التي هي عنصر وجدانه ومشاعره أو المكان الجاذب والمنفر لوجود سعادته وحزنه وأخيراً الزمن الذي يؤمن بحتمية وجوده وما ولد لديه من مشاهد نفسية مؤثرة في حياته .

كلمات مفتاحية : الأنا ، الآخر ، شعر ، الحصري ، التطيلي



Manifestations of the Ego and the Other in the Poetry of Two Blind Andalusia Poets
Al-Hussari Al-Qayrawani, and Alaa'ma Altuttaili as a Model: A Psychological
Study

Dr. Yasser Fadel Musharraf

College of the Great Imam (may God have mercy on him) University

Receipt date: 2021-09-15

Date of acceptance: 2022-02-19

Abstract

The researcher explains the manifestations of the Ego and the Other in the poetry of two blind Andalusia poets, namely Al-Hussari Al-Qayrawani and the Alaa'ma Altuttaili, in a psychological study. This is done by focusing on literary texts that harmonize with the vocabulary and images they exhibit which reflect the embodied poetic Ego with the Other expressing it, whether with the woman, as an element of his consciousness and his feelings, or the place that attracts and repels the presence of his happiness and grief. Finally, the time which he believes in its inevitable existence and the emerging psychological scenes affecting his life.

Keywords: the ego, the other, poetry, al-Husiri, Altuttaili



المقدمة:

يُعدّ شعر العميان في الأندلس أنموذجاً فذاً في مزايا الطرح النفسي والاجتماعي والنقدي والفكري وإلى غير ذلك ، وقد شكلت قضية تجليات الأنا والآخر في شعر الشاعرين الحصري القيرواني والأعمى التطيلي أهمية كبيرة إذ لا يمكن أن تقوم أنا الشاعر إلا ومعها علاقة ارتباط مع الآخر سواء أكان ذلك في القبول أو الرفض ، الإيجاب أو السلب ، فالذي يحرك هذه العلاقة بين الأنا والآخر ويمدها بالاتصال والانفصال هو ما يلج في صدره من كوامن نفسية يجسدها في مثيرات لغوية وقدرات شعرية جميلة تسير للكشف عن أغوار ذاته وتجليات إشكاليته مع الآخر المحفز ؛ وبهذا تأتي الدراسة للبحث عن تجليات الأنا والآخر في أدب العميان في الأندلس على الحصري القيرواني والأعمى التطيلي ليكونا صوراً للروح عن الترابط والصراع بينهما مع المرأة أولاً ومع المكان ثانيًا ومع الزمن ثالثًا ، ولذا سنبين هذه الصور والعلاقات التي جسدها هذان الشاعران في نصوصهما الشعرية وتبيان ما تحمله من قضايا نفسية تمسهما .

المبحث الأول: تجليات علاقة الأنا الشاعرة مع الآخر المرأة

إن الأنا في أبسط أشكالها هي الذات العارفة بنفسها والمتفاعلة مع غيرها فتعلو بشكل علائقي بين الموضوع والآخر ويكون هذا الموضوع متوسطاً للأنا والآخر أو بمعنى آخر إن الأنا هي وحدة هذا المركب العلائقي على الإطلاق وفي هذا المركب العلائقي بنية الأنا بصفته وعيا ذاتيا تعتبر الأنا ذاتا والآخر ذاتا أخرى والعلاقة بينهما عبر الموضوع علاقة ذاتية (ينظر : زيدان ، ٢٠١٧م: ٥٦) ، ومن هذا المنطلق وهذه العلاقة بين الأنا والآخر تتجلى المرأة بمكانتها العظيمة في المجتمع بصورة عامة ولها مكانة مؤثرة في نفس الشاعر خاصة، لما تحمله من أهمية في الحياة وديمومتها فهي مصدر مباهج سعادته أو آلامه سواء أكانت الأم والخالة والزوجة والابنة فهي ((المخلوق المبتلى بمحنة انشطاره ذكراً وأنثى وتشتت طاقاته بينهما، والمغزى لذلك بالبحث الوجودي عن شقه الآخر المتم والمكمل له ، مما أسفر على مر العصور عن حكايات وقصص متجددة ومتشابهة أحياناً في مضامينها وإن اختلفت الأسماء والأشكال))(العزاوي ، 2002م: 30) بيد أن اللغة الشعرية هي التي تكشف وتبين سبر أغوار أشعار الشاعر الأعمى ، وسنركز ونبين النصوص الأدبية التي توضح تجليات هذه العلاقة لذات الأنا الشاعرة مع الآخر المرأة بالقبول والرفض في مفاتيح لفظية واضحة يقول الحصري القيرواني :



بَيْنَ الملوَمِ عَلَيْكَ والمَعْدُورِ

رَدِّي حُشاشَةً عاشِقٍ مَهجُورِ

عِبْرَاتُهُ كَاللُّؤْلُؤِ المَنْثُورِ

لِللُّؤْلُؤِ المَنْظُومِ فِي فَمِكَ انبَرَتْ

وأُولُو الهوى مَوْتِي بغيرِ قُبُورِ

دَكَرَ الفِراقَ فماتَ لِأَشوقَهُ

قلبي وسرّ مدامعي وزفيري

ودَعَتْ من أهوى بلِ استودعْتُها

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م: 150).

يكشف نص الشاعر بتجلياته تجاه الآخر المحبوبة أن تجود عليه وترد طلب حشاشة عاشقٍ مهجور تركته حبيبته بين اللوم والعتب ، فتذكر جمال اللؤلؤ المنظوم في فم الحبيبة الذي سرعان ما أنبرى بدموع عبراته حتى صار كاللؤلؤ المنثور ، فمن عجيب المفارقة في البيت الثالث إبراز الأنا تجاه الآخر ، إذ راح يذكر فراق الحبيبة له (يعني الموت) إلا أنه سرعان ما وضع أداة الاستثناء لشوقه لها ببقية حياً لعلها تكون معه ، فهذا حاله وحال أولي الهوى والحب فهم موتى بغير قبور ؛ فالأبعد من ذلك فهي المحبوبة التي استودعها في سر قلبه بالدموع والزفير ، وتكشف علاقة الأنا الشاعر بالآخر المرأة وصيرورة المعاناة والتجربة المؤلمة في سياقات لفظية تحمل وجه المفارقة ، فيقول :

فَجَرَعْتُ في حُبِّي لَكَ المُرَّ والخُلُوا

وفتني دُمُوعُ العَيْنِ والصَبْرُ خانَني

فَحَتَى متى أَشكو ولا تَنفَعُ الشكوى

وَضَقْتُ بهذا الحُبِّ ذراعاً وحِيلَةً

فَجازيتُني أن زِدْتُ بَلوى على بَلوى

وهبْتُكَ حَظِّي من سرورٍ وِلْدَةً

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م: 316) .

نلاحظ في خطابه مجموعة من الالفاظ والجمل الضدية كقوله : (المرّ ، والحلوا) ، (متى أشكو ، ولا تنفع الشكوى) ، (سرور ولذة ، بلوى على بلوى) . فهذا التوظيف الضدي جعل الشاعر ينفس عن مكنونه العاطفي بالدموع التي وقته حقه ، فمعاناة الشاعر ومشهد التنافر بين الأنا والآخر مع هذا الحب لزوجته هو الذي تجرع بنفسه مرارة حبه وذاق حلاوته لها ، فضلاً عن ذلك الصبر الموشح بالخيانة له ، مما ضاق حبه ذراعاً وحيلةً ، فهي وأن شكى لها وبادر لها الإحسان ووهبها لذة الحب والسرور فلا تنفع الشكوى معها فجازته بالأعراض والصد وزادت مصائبه وبلواه ، فالمفارقة بين القبول للحب والانكسار



والحرمان والرفض عبرت عن نفسية وعاطفة متوهجة بحب وانكسار من ذات الشاعر دون الآخر الزوجة . ومن مواطن
الحرمان والمعاناة والحزن الناجم لديه من الطرف الآخر الزوجة ، وهو أن بذل لها العطاء والمودة والتضحية بادرته بالمنع
والتمرد فيقول :

بذلتُ العطاء الجزلَ كيما أصونُها فباعتكِ بالأوطارِ وأدعتِ المنعَا
عليكِ حذارِ اليتيمِ حتى تَمَرَدتِ وقيلِ إنكُها إنَّها حَيَّةٌ تسعى
رأيتُ أحنَبَ الغانياتِ لبعْلِها إذا شابَ لا تَرْضَى وإنِ غابَ لا تَرعى
فُهلُ للهوى حَسبي بما ملكتِ يدي ولو أنِّي استبدلتُ بالذُرِّ الجزعا

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 42).

فواصل الشاعر بهذه الحوارية مع الزوجة وخشية أن تتركه وحيداً يعاني اليتيم هو وابنه الصغير ، حتى قيل له اتركها فهي حبة
تسعى ، إلا أنه يرى في حب الغانيات لزوجهم إذا كبر وشاب لا ترضاه وتقبله ، وإن غاب لا ترعاه فمثل حاله وهو أعمى وكبر
وله ابن صغير ، فما هو يفصح بذاته المحببة للآخر الزوجة فهي المرأة التي ملكت سطوة حبه ويده وتجرع بتضحيته أن لا
يتزوج غيرها ولا يستبدلها بأي شيء ثمين وغالٍ . فالأزمات النفسية التي تضاف إلى ذات الأنا المقلقة للشاعر الحصري صار
يعاني القساوة والهجران ويشعر بالضعف والاستسلام نتيجة هجر المرأة له ، فيقول :

وشى عندكِ الواشونَ بي فُهَجرتي وَحَمَلتني في الحُبِّ مالمَ أكنُ أقوى
ولو أنِّي إذ كُنْتُ عِنْدَكَ مُذنباً وَجَدتُ سبيلاً حَيْثُ أسألكِ العفوا
وصالكِ لي مُحِي وهَجركِ قاتلي وَحُبُّكَ شَغَلَ كُنْتُ من قَبْلِهِ خلوا

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 316).

يظهر الشاعر من خلال هذه الأبيات طرف آخر وهم الواشون الكذابون الذين استطاعوا بوشايتهم لحبيبتهم (الزوجة) أن تهجره
وتحملة مالم يكن يتحملة ويقوى عليه ، فبروز أنا الشاعر في البيت الثاني ما هو إلا دليل واضح يريد من خلاله أن يحقق



مبتغاه ، فذهب مذعناً متوسلاً يرجو سبيل وصلها وعفوها ؛ لأن وصلها يعني محياه وهجرها مماته . فهذا الانقياد والخضوع للحبيبة ليس بعيب ولا ذل بالنسبة له مادام ((الحب مبنى على الذل ، ولا يأنف العزيز الذي لا يذل لشيء من ذله لمحبيه ، ولا يعده نقصاً ولا عيباً ، بل كثيرٌ منهم يعد ذله عزاً))، (الجوزية ، 2003م :282)، فعلى الرغم من انشغاله بالحب الصادق لهذه المحبوبة الآخر إلا أنها تقابله بالهجر والقسوة ويستمر الشاعر الأعمى الحصري القيرواني بحبه واستعدابه للزوجة ، فيقول:

بكت رحمةً للصبِّ عينُ غدوّه
فما لحبيبِ القلبِ لا يرحمُ الصبّا

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 100).

يبدو أن هذه المرأة تحمل قسوة القلب الذي لا يرحم من يحبها ، فعبر ببيكائه وآهاته النفسية المعذبة للتفريغ عن حزنه العاطفي المؤلم . ويطلعننا هذه المرة الشاعر الأعمى التطيلي وهو يظهر بكائه وانكساره المهزوم لحبه الآخر (المحبوبة) ، فيقول :

بكى المحبُّ وأيدي الشوق تُقلِّقه
أصابه حرسٌ فالدمعُ مُنطقُهُ

ما عنده غيرُ قلبٍ ماتَ أكثرُهُ
وما تبقى له إلا تعلُّقه

تُكلِّتُ إن لم تكن تُعزى القناعةُ لي
فحُرٌّ وجهي ثوبٌ لسْتُ أُخلِّقه

فمن لقلبي بتسكينٍ يُبْتِئُهُ
ومن لجفني بتغميضٍ فأطبقه

(عباس ، 1989م : 237) .

فحجم المعاناة الحقيقية التي تسعى إليه ذات الأنا الشاعرة ليفصح بها للآخر (المرأة) مقدار الحرمان والقلق ، فيذكر لها مشاهد الضعف التي دأبت في نفسه فإن أصابه عدم النطق فالدمع هو منطقه ، ومن شدة ما يدور في داخله وتعلقه والإخلاص للحبيبة فقلبه مات أكثره فما تبقى منه فهو متعلق لها زد على ذلك الحب فراح يطلب قبولها وقناعتها خوفاً من أن يكون وحيداً يصارع حر وجهه ، معلناً الانهزامية والتوسل فمن لقلب يثبتته ويسكنه وجفن عين فأطبقه إلا من الحبيبة لكنه لم يجد ذلك ، فضلاً عن أبياته ((مغرقة في الاستمساك بخناق الحب والإصرار عليه، والغناء فيه ، والاستغراق في استعدابه))، (الشكعة ، 1986م : 38) . وهكذا تظل تجليات الخطاب النفسي للأنا بشعره تحمل الآهات والألم مما لقيه من فراق ولوعة الحبيبة ، فيقول :



تُق أو من فؤادي المشتاق

أه مما لقيت من طرفك الشا

إن موت الصدود مُرُّ المذاق

خُذْن بي مأخذاً من الموتِ حلواً

(عباس ، 1989م : 85).

فبيّن الشاعر حالة الأسي لفؤاده المشتاق ونظرة عينه لحبيب مشتاق لرؤيته، جعل الأعمى التطيلي بفرق المحب وصدّه له بموت طعمه مر المذاق لا حلاوة له إلا بقربه منها ، فأصبحت المرأة تمثل كيانه الآخر فلا روح إلا بوجودها فهي في حياته ((شيء)) أولاً وفارز ((بالحث)) ثانياً ، فهذا التلاصق بين الشيء وجانب الحث يجعل المرأة هي حاجة ملحة في حياة الرجل ، أما المعاناة فتتجسد في كونها حبيبته التي يسعى دائماً للوصول إليها . (ينظر : إبراهيم ، 1989 م : 73) ، وتبقى معاناته تزدان بالأنين والحسرة للآخر لفتاة كان يهواها ويحبها فأت عنه ، فيقول :

شوقاً نعى جُلدي لابل سبى خلدي

بنتم فخلد عندي وشك بينكم

أتى ووجدني بكم باقٍ على الأبد

هيهات يسلو فؤادي عنكم أبداً

عائنتُ عذب الحيا يجري على البرد

أما كفى حزناً أن قد ظميتُ وقد

أسكنت منه الأسي في السهل والجُد

رفقاً بقلبي ياقلبي فانك قد

(عباس ، 1989 م : 248).

تكشف الأنا للآخر للمحوبة وهو يخبرها بأن لا تتركه يعاني غيابها وبعدها شوقاً ينفى صبره ويسبى عقله وفؤاده بالألم ، ويعاهدها بسعادة فؤاد لا يسلو وحب باقٍ للأبد متمسك بكفاه الظماً وأن تجلى عذب حياته على برد ، ومما استعذبه من الضعف والانهازم النفسي إلا أن ينادي قلبه أن يرفق بقلبه الذي أسكنت فيه الحبيبة الأسي والحزن بالسهل والصعب . وتذهب به القطيعة وعدم وجود صدى الوصل والقبول من الآخر الحبيبة إلى أن يقول :

بعقلي ، أما يرضيك شيء سوى عقلي؟

أذاهبةً ، بين القطيعة والوصل

كأنك لم تلقني سبيلاً إلى العدل

وقاضيةً بالهجر بيني وبينهما

(عباس ، 1989 م : 122).



فيستقهم في أول البيت كاشفاً ومعلناً رضاه للحبيبة من خلال تكرار لفظة ((بعقلي، عقلي)) فلماذا الهجر والصد وأنتِ سوى ملك عقلي؟ فمن قساوتها عليه قضت بقرار لا سبيل إلى عدله بهجره وعذابه وتركه يتململ فوق جمر الوصل وجمر القطيعة والصدود . (ينظر : مبارك ، 1353هـ : 282) . أما (أمه) فقد تركت أثراً محزناً ومؤلماً في معاناة ، فبدأ يصور سوء حاله وهو بعيد عنها ، فيقول :

لها كل يوم من تفقده شان

بكت ولأمر مابكت أم واحد

ففي كل شيء لي دموع وأجفان

إذا ما التقت أجفانها ودموعها

لتسألوا ولو أن التلاقي سلوان

وجازعة للبين مثلي ولم تكن

قلائد فيها من دموعي ألوان

تصدت لتوديع فكاك يئ ودها

(عباس ، 1989م : 222).

تتضح علاقة الأنا مع علاقة الآخر الإنساني أمه في موقف توحيد مطلق (ينظر: أبو ديب ، 1987 م : 86) بتجلي بكاء الأم على ولدها ، إذ لم يكن لها في كل يوم تفقده وتذكره إلا ولها أمر وشأن ، وأخذ بنفسه يشاطرها الحزن بالدموع في كل شيء ، ويجزع لجزعها، فهي لا سعادة لها بعد فراق له تلاقٍ وسلوان، فما أن تصدت لوداع إلا وكادت دموعها كأنها قلائد تكونت من إحساس نابع من ثقل موقف الفراق . وتجلت علاقة الأنا مع الآخر الزوجة أن يبقى الوفاء دائم بينه وبين فقدها ، فيقول :

ببينك لو أني أخذت له جذري

أمن لا والله ما زلت موقناً

أحدثك أني قد صغفت عن الصبر

خذي حديثي هل أظقت على النوى

لشخصك في قلبي وان كان في القبر

فلا تبغدي إن الصباية خطة

ولكن على قدر الهوى لا على قدري

ولا تبغدي إنني عليك الواجد

وقد قيل إن الميت منقطع الذكر

ذكرتك ذكر المرء حاجة نفسه



ووالله ما وَفَيْتُ رُزْءَكَ حَقَّهُ

ولكنه شيء أقمْتُ به عذري

(عباس ، 1989 م : 71) .

فهذه الأبيات هدفها أن يكشف للآخر المتلقي الزوجة بأن يقارن بين حديثها وحديثه ، فهو أن حدثها فقد نفذ وضعف صبره عن فراقها ، فأخذ يطلب ويسألها هل لك الصبر على الفراق والبعاد ؟ فمن عجيب الأمر أن يحدث زوجته ويقول لها : لا تبغدي مكرراً الفعل مرتين مع أنه يعرف ذلك لم يحصل له بحديثها وهي في عداد موتى القبور ، فلم يبق له سوى القسم يجد فيه وسيلة ليبين فيه شدة وجع ألم الفقد أو ((قمة الصراع في ذات الراثي ، والذي يسيره عاملاً اليأس التام من المرثي كإنسان ميت ، أو تجاهل موته ، والتظاهر بعدم تصديقه)) ، (الخطيب ، 1977 م : 193) ، وهذا الأمر مرده إلى حقيقة البواعث النفسية لعملية الإبداع الشعري فكل ما يحدث هو نتيجة لتأثيرات ودوافع النفس البشرية.

المبحث الثاني : تجليات علاقة الأنا الشاعرة مع الآخر المكان

شكل المكان للإنسان جانباً مهماً سواء أكان إيجابياً لسعادته أم سلباً لحزنه فيما ينتج من علاقات ومؤثرات كبيرة ، إذ يترك أثراً واضحاً عليه بالرفض أو القبول ، (ينظر : بدوي ، 1975 م : 196 ، ينظر : العبيدي ، 1987 م : 17) فالمكان شيء ملاصق وممتزج مع كيان الإنسان ، فذهب الإنسان يثير فيه مشاعره النفسية والوجدانية بالألفة والمعادية فهذا الشيء لا يتأتى إلا بما يحصل من أحداث ومواقف في المكان تجعل من وعي الشاعر على وجه الخصوص يتفاعل مع مواقفه وواقعه وطبيعة حياته ، ويتخذ الشعر أداة يعبر به عما يشعر به من المكان أو ((ترجمة واقعية صادقة لأحاسيس الشعراء)) (مطلبك ، 1987 م : 31) . من المكان ، وتعددت صور المكان لنجد منها ما يحمل طابع التناقض وهذا ما ينسحب على طبيعة الموقف بالنسبة للشاعر ، فقد يكون المكان معادياً أو في صراع مع ذات الشاعرة فيلجأ إلى أمكنة بعيدة يكون الابتعاد فيها عن الآخرين احتراماً لذاته وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بالمكان البديل الأليف. (ينظر : دافيدون ، 1984 م : 627) ، لذا فعنصر المكان ((هائم لا تحده حدود معلومة)) (الربيعي ، 2001 م : 158) أو قد يكون المكان يحمل بصمات الجمال والألفة إلا إن ما يظهر من العدوانية والاستلاب للشاعر يؤدي إلى رفضه وعدم العيش في موطنه ، قد تكون هناك أسباب نفسية واجتماعية واقتصادية جلبت له عدم تحقيق ما يصبو إليه ، فربما يكون العكس هو الصحيح على الرغم من قساوة وعدائية المكان فحين الشاعر وألفه له يتأتى من الناس الذين يتواجدون فيه والأحداث الجسام التي تقع بداخله ، وهذا ما سعى إليه الشاعران الحصري



القيرواني والأعمى التطيلي أن يجسدا ذلك في أشعارهما تجاه واقعهما المعاش والعالم المحيط بهما ، لذا أصبح المكان بالنسبة لهما حقيقة ((نفسية بالدرجة الأولى)) (إسماعيل ، د.ت : 67) ، فمن الأماكن التي تتفاعل معها الحصري القيرواني وصارت رمزاً للمحبة والألفة والانتماء لها أرض القيروان التي كانت يوماً ما مدينته فهجرها ، فيقول :

ألا سقى الله أرض القيروان حياً
كأنه عبراتي المُستَهْلَآتُ
فإنها لذة الجناتِ تُرْبَتُها
مِسْكِيَّةٌ وَحَصَاها جَوْهَرِيَّاتُ
إلا تَكُنْ في رُبَاها رَوْضَةٌ أَنْفُ
فإنما أوجهُ الأَحبابِ رَوْضَاتُ
أو لا يَكُنْ نَهْرٌ عَذْبٌ يَسِيلُ بها
فإن أنهارها أُنْدِي كَرِيْمَاتُ
أرضُ أريضةِ أَقْطَارٍ مَبْرَكَةٍ
لله فيها براهينٌ وآياتُ
لا يَشْمَتَنَّ بها الأعداءُ إن رُزنت
إن الكُسوفَ له في الشمسِ أَوْقَاتُ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 289).

وجه الأنا بخطابه للآخر المكان الأليف أرضه القيروان التي سكن فيها وأظهر صفاتها الجميلة فهي جنة الله في نعيم تربتها ، وبهاء وجه أحببتها ، وسيل عذب نهرها بكريمات أرض أقطارها وأيد مباركة لله فيها شأن وآيات ، فضلاً عن ذلك دعا أن لا يشمت بها أي عدو مهما أصابها من الأحداث والاضطرابات ، فلا بد أن تعود . فذهب يصورها كالشمس في الكسوف إذا اختفت في وقت لا بد أن تظهر في وقت آخر ، من هنا يكون هاجس الشاعر الحصري وهو يبصر الأشياء ببصيرته لا ببصره بعين الاسترجاع لبقاء مدينته ، فالمكان عنده إثبات ذات ، (ينظر : السويدي ، 2012 م : 85) ، وفي مشهد آخر من أشعاره نجده يشكو غربته وهو بعيد عن الأحبة ومكان الألفة والحب مدينة القيروان ، فيقول :

كأنني لم أدق بالقيروان جنِّي
ولم أقلْ ها لأحبابي ولا هَاتوا
أمرٌ بالبحرِ مُرتاحاً إلى بَلَدٍ
تموتُ نفسي وفيها منه حاجاتُ
وَأَسْأَلُ السُّفْنَ عن أخباره طَمَعاً
وَأنتشي وبقلبي منه لَوْعَاتُ



على سقامي فقد تشفى الرسائلُ

هل من رسالةٍ جبَّ أَسْتَعِينُ بها

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 289) .

فحنين الأنا إلى الآخر مدينة القيروان مسقط رأسه وأحبابه جعله لم يذق حلاوة العيش في وطنه القيروان ، وهذا نابع من إحساسه بالغربة وما نتج عنها من آلام وأحزان ، فهو أن مر بالبحر مرتاحاً إلى بلدٍ ، إلا أن نفسه تموت بشيء من طلب الحاجات ؛ لذا راح يسأل السفن فيه طعاماً برسالة تنقل أخبار بلده وأهله مستعيناً بها على شفاء سقمه وشوقه . وبعد أن ضاقت به السبل ولّى وجه شطر مدينة بلنسية إلا أنه لم يمكث فيها طويلاً فغادرها بذكرها وذكر أديبها أبا العباس النحوي البلنسي ، فيقول :

ذَكَرَى بِلَنْسِيَةِ وَذَكَرُ أَدِيبِهَا

قامت لأسقامي مقام طبييها

أَمْسَيْتُ مُحْتَرِقُ الحِشَا بِلَهْيِهَا

حَدَّثْتَنِي فَشَفَيْتُ مَنِّي لَوْعَةَ

ذَكَرْتُ وَحُبُّ النَفْسِ ذَكَرُ حَبِيبِهَا

مازلتُ أذكره ولكن زدتني

إِلَّا أَبُو العَبَّاسِ أُنْسُ غَرِيبِهَا

أهوى بلنسيةً وما سببُ الهوى

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 221) .

نجد ذكر الأنا للآخر بلنسية ومقام أديبها عندما حدثته نفسه بلهيب الشوق والألفة الذي مازال يردده بحنينه لها ولأديبها ، وعلل سبب حبه لهذا المكان وشوقه إليه هو أبو العباس الذي أشعره بالحب والأنس والطمأنينة في وحشة الغربة فهذا إن دل على شيء إنما يدل على تفاعل وانسجام الأنا مع الآخر براحة نفسية كانت تجلب ما يشفي لوعة آلامه وهذا ما دعاه إلى أن يبوح باسمه ، وقد يكون المكان مغايراً لما لمسناه في أشعاره يحمل في طياته النفور والابتعاد وعدم الألفة مع ساكنيه بسبب المصائب أو قساوة معاملة الناس له ، مما جعله يشعر في داخله بعدم التقدير والاحترام ، فمن ذلك يخاطب ابنه وهو يغادر القيروان مدينته ، فيقول :

إِلَّا وَرَيْحُ القَيْرَوَانُ دَرِيسُ

والقيروانُ حمى أبيكُ وما نأى

منهُنَّ أُمُّ اللَيْثِ وَهِيَ شَمُوسُ

لكن أصابتنا مصائبُ دُلَّتْ



(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 249) .

يخاطب الأنا الآخر الأبن بحالة الإحباط والتوتر وهو تاركاً وطنه بعد أن أصبح مكاناً مخيفاً تكثر فيه مصائب التشتت والضياع والتدمير بعدما كان حمى أبيه . وهذه مدينة طنجة التي أعلن عن سأم الإقامة فيها ، فيقول :

سئمت حياتي والمقام بطنجة
كأن بلاد الله غير عراض

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 98) .

وسئم الأنا للآخر لمقام طنجة بعدم استمرار حياة العيش والبقاء فيها إذ لم تكن تشعره بالأمل والسعادة ، فراح يعلن ضجره ويأسه منها ، وها هو الآن يشعر بغربة المكان من أناسه الذين لم يظهروا له جانب الصدق والأنصاف والمحبة والاحترام تجاه ما يقوله :

وددت بأن ألقى من الناس مُنصفاً
إذا قلت حقاً قال لي أنت صادق

وإن قلت غير الحق لم يرض لي به
وأوضح للفكر الذي هو لائق

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 97) .

فهذه الحوارية بين الأنا والآخر مجتمعة تكشف له زيف المعاملة التي لاقاها من الناس إذ يقول لهم الحق فلم يجد من ينصفه بالصدق سواء أكان مع الحق وغير الحق . أما الشاعر الأعمى التطيلي فقد توحد برقاب الألفة والمحبة للمكان الذي راح يجسده في أشعاره ، فأخذ يتذكر ما لهذا المكان من ذكريات جميلة بعد أن كان يجمع الأحباب تحت ظله ، فيقول :

يا رُبَّ ناجيةً أنهلت بك السحُبُ
أما ترى كيف نابث دُونك الثوبُ

وعاد قلبي من ذكراه عيدُ جوئ
هو الخبالُ ، وإن قالوا هو الطربُ

أبعُد حولي تقصّي للنوى كتبُ
ولا الذي بيننا نبع ولا غربُ

مما يُبرِّح بي حتى أبوح به
وإن أحاطت بي الأوصاد والرُّقبُ

ذكرى إذا نزعْتَ قلبي شياطينها
فانظرْ إلى أصلِ دائي كيف ينشعبُ



بيني وبين الردى في حُبِّه سَبَبُ

ولي حبيبٌ وإن شَطَّ المزارُ به

(عباس ، 1989 م : 15).

يحدث الأنا للأخر المكان الذي أحبه يا ربع ناجية الحبيبة بالدعاء بالسقيا لها ، وهو دعاء ممزوج بلوعة الألم والحسرة مما جرى فيها من المصائب والشدائد ، هي التي أبعدته حولاً فلم يحصل بها شيء سواء مجرد ذكريات بينه وبين ربعها ، مما دعاه إلى أن يبوح بمكان الحبيبة الذي تحاط به الأبواب والرقب ، ولشدة ما ينتابه من ارتياب لطبيعة هذه الذكريات ووسواس شياطينها في قلبه فهي أصل دائه وموته أو سبب حبه لها . وأن بعد المزار والمكان بينهما وتبقى الأماكن المألوفة والمهمة لذات الشاعر تسيطر على هاجسه النفسي وأحاسيسه مهما كلفه حجة لوم من يلومه ، فيقول :

إذ عُجْتُ في أطلالِ دارِكِ فاعلمي

أنا كُنْتُ أوضَحُ حُجَّةً مِنْ لومِي

تَهَلُّ بين مُعصِرٍ ومُعْنَمِ

جاؤوا بلومهمُ وجنُّتُ بأدمعي

صالِ بلومهمُ غريقاً في دمي

فوددتُ أنكِ كنتِ حيثُ ترينني

جَشَمْتُ فيكِ النفسَ كلَّ مُجَشِّمِ

فتبينني أني على ما سُمتني

(عباس ، 1989م : 168) .

فبروز أنا الشاعر في بداية البيت الأول ليوضح الآخر (المكان) ودار الحبيبة ويخبرها بأن جاءه لوم اللاتمين عليها فيقابله بانهيال دمه بين معصِرٍ ومنعدم ، ووداد المحبة والألفة لها حتى رأته غريقاً في دمه ، ثم يبين بأني مهما تكلفت وتجشمت فيك كل مجشم فأننت موطن النفس والمودة . فهذا ربع المجد الذي ألفه وهو يمدح محمد بن عيسى الحضرمي ، فيقول :

لأصْبِحَ رَنْجُ المجدِ وهو يَبَابُ

وأقسُمُ لولا ماله من مآثرٍ

له فيه عَن حُكْمِ القضاءِ مثابُ

تَبَوُّاً من دارِ الخلافةِ مَقْعِداً

(عباس ، 1989م : 10-11) .

وقسم الأنا الشاعر الآخر الممدوح في تجسيد مناقبه وبيان صفاته جعلته يستعير صفات إنسانية لهذه المآثر وهي لولا أعماله وتبوأه دار الحكم ومقعده لأصبح هذا المكان في يباب وخراب ، فهذه مقومات النجاح للمكان المحبب هي ماجعلته يجسد ذلك



من خلال شعره . وقد يجابه الشاعر الأعمى التطلي بقساوة المكان وعداوة وبغضه فليجأ إلى الشكاية منه ، لأن ((الشكوى حاجة نفسية منبعثة من نقص حاجة وإذا كان الطليق من الناس يشكو فحري بمسلوب الحرية أن يشكو ، ليجد في شكواه متفلساً يخفف من ثقل القيود التي ألمت به))، (زغير ، 1996م : 117). وعبر عن ذلك بملله في مدينة إشبيلية (حمص) التي ملها وملته وشعر بضجره وسأمه من أن يقيم فيها ، فيقول :

مللْتُ حمصَ وملَّتني فلو نطقتُ
كما نطقْتُ تلاحينًا على قدر

وسوَلْتُ لي نفسي أن أفارقها
والماءُ في المزنِ أصفى منه في الغدرِ

هيهاتِ بل ربّما كان الرحيلُ غداً
كالمالِ أُحيي به فقرأ من العمرِ

أما اشتقتُ منّي الأيامُ في وطني
حتى تُضايقَ فيما عنَّ من وطيرِ

ولا قضتُ من سوادِ العين حاجتها
حتى تُكُرَّ على ما كانَ في الشَّعرِ

كم ليلةٍ جُبْتُ تَبني طولها بفتى
شئى المسالكِ بين النفعِ والضررِ

(عباس ، 1989م : 49) .

تصحح الأنا للآخر (المكان) الذي هو مدينة إشبيلية (حمص) عن ملله بما لاقاه من سوء معاملة أهلها وظروفها الجائرة وفي ذات الأمر هي ملته أيضاً ، فلو تكلمت لكشفت ما في ذاتها من مضايقات إلا أنها لم تتطق وتخبّر عما أخبره ، فضلاً عن سأمه من هذا المكان المعادي المدينة ، إلا أن نفسه سولت له أن يفارقها ، لعله يجد في غيرها ما يرضيه من الاحترام والمحبة كماء السحب في السماء الذي هو أصفى من ماء الغدير في الأرض ، فهيهات للرحيل أن ينعم بمالٍ يحيي به ما تبقى من عمره وهو يعاني عماه وعيشه ، والأقسى من تلك المشاهد المؤلمة ، وهو يرى أن الأيام قد صارت تشتقي به وتضايقه بالأذى في وطنه كأنها لم تكتفِ بما حصل له من مكان معادٍ جلب له ما جلب من الويلات والإجحاف وإذ هي تجلب العداوة بأن جعلت من سواد عينه وشعره يتحول إلى بياضهما بحقدها ، وكم ليلة بطولها لقاها ووضعت في طريقة شتى المسالك لا بين نفع ولا دفع ضرر لحالة . وفي مشهد آخر يردد لسان حاله بما ينتجه المكان غير المحبب كمدينة حمص وأهلها التي تنبو به وتزيد من معاناته واغترابه وعدم تحقيق آماله وأهدافه، فيقول :



تُهلُّ الرُّبا بالشكرِ أَيْانَ يَهْمُغُ

نَبْتُ بِي حَمَصٌ جادها كلُّ مُرهمٍ

بها غصصٌ من أهلها وهي بَلْعُ

وماكنتُ أخشى أن أخلَّ ببلدِ

وما ضيِّعوني لكنَّ المجدَ أخلُّوا

وما أخلُّوني لكنَّ المجدَ أخلُّوا

ونفسي عليه حَسْرَةٌ تتقطعُ

وينثني الحرمانُ عن كلِّ مطلبٍ

(عباس ، 1989 م : 79) .

تشكو الأنا مع الآخر مدينة حمص وحرمانها وجفاءها له ، وما كان يخشى بأن يحل بهذا المكان وأهله لتحقيق طموحاته ومطالبه إلا وقد وجد منهم حالة الإخمال لمجده وضياع لعلمه ، وينتهي به الحرمان بحسرة تتقطع في نفسه وتزيد اغترابه .

وتتكثف وتزيد حدة نقمة على إشبيلية حتى جعله يسخر منها ومن أمور مضحكاتها ومبكياتها ، فيقول :

ولكنَّه ضحكٌ كالبكاء

وماذا بحمصٍ من المضحكاتِ

وبين الجوانح جَمُرُ الغضا

ونُعْضي على حُكمِ صرفِ الزمانِ

(عباس ، 1989م :1-2).

فرفض أنا الشاعر للضعف والخضوع جعله يدعو الآخر أهل حمص إلى رفض الضيم والظلم لما انتشر بينهم إلا أنه لم يلق أذان صاغية حتى ظل يعاني ألم اغترابه من أناس لا ينصفون المظلوم أو يردون الظلم فراح يذكرهم بالمتبني حين قال لأهل مصر على زمن كافور الأخشيدي :

ولكنَّه ضحكٌ كالبكاء

وماذا بمصرٍ من المضحكاتِ

(البرقوقي ، 2012 م : 123) .

المبحث الثالث: تجليات علاقة الأنا الشاعرة مع الآخر الزمن

يُعدّ الزمن جانباً مهماً للإنسان بما يشكله من انعكاسات وأحداث وذكريات في حياته اليومية قد يشعره بالحزن والألم والتشاؤم أو السعادة والمتعة والفرح ، لذا أصبح الزمن يمثل لديه ((الأنات الثلاثة ، الماضي والحاضر والمستقبل ، إلى أحوال النفس الإنسانية ، الذاكرة للماضي والانتباه للحاضر ، والتوقع للمستقبل والزمان عنده لا يقوم إلا بالنفس الإنسانية))، (بدوي ،



1984م : 557)، فسطوة الزمن وما يحدثه لذاته الإنسان والشاعر من توتر واضطراب ، تجعل سلوكه الإنساني تتفاعل معه وبهذا يكون الزمن يتلون هنا بلون الحالة الوجدانية والشعورية التي تستولي علينا ، (ينظر : عبد العزيز ، 1970 م : 36)، فالذات الإنسانية تؤمن حقيقة بحتية وقوع أحداثه وتأثيره على مجرى الحياة ، ومن خلال هذا الوعي والإدراك ، فإن تجليات الأنا مع الآخر الزمن صار لازماً عليه أما المجابهة أو الاستسلام وهذا كله تظهر إنعكاساته حسب ما تقتضيه وتبرزه أشعار الشاعر بالأحداث التي يعيشها ، وللزمن وتقلباته الأثر الواضح على نفسية الشاعر وما ترافقه من أحداث تعصف به ليكون الإنفعال أصل الإبداع سواء أكان عميقاً أو سطحياً (ينظر: سوف:١١) ، فالأعمى الشاعر الحصري القيرواني يعيش حياته في ليالي تسودها جدلية تقلب الحدث ما بين الفرح والحزن ، فيقول :

لِكَلِّ هلالٍ أطلعتهُ سُعودُ

دُجى الليل صُبْحُ فيك إذا أنت مطلعٌ

جَاذُرُ كانت تلتقي وأسودُ

دَهْتنا الليلي بالنوى فَتَفَرَّقَتْ

فَبَيْضُ الليلي في غيوني سودُ

دَراري سعدي لِلأفول تَجَانَحَتْ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 139) .

تخبر الأنا الشاعر عن حالته النفسية مع الآخر الليل فهي تسير ما بين انكشاف ليله الطويل وتأتي بعده شمس حياته وطلوع هلال سعادته ، فضلاً عما يحدثه الزمن بتقلباته المفرحة إلا أنه سرعان ما يفاجؤه بتغيير بدلالاته المحزنة التي أدت أحداث ليليه له بالفرقة والقطيعة بعد أن كادت تلتقي ومما يكشف حقيقة الرؤية المساوية التي يعانها الشاعر أنه فقد بصره وذهب يشرك الليل معه في كل وقت ، ومهما تجاذبت وتكونت هذه الليلي ببيضاها وأفراحها فهي بالنسبة له تبقى تحمل سواد حزنه الذي شعر به وهو يبتعد عن بني الإنسان حاملاً إحساساً تجاههم بالبغض والكراهية والسخرية . وقد يصبح الآخر الزمن مفرحاً له ومتحداً مع ذاته يبيت من خلاله أسباب شوق وحنينه إلى محبوبته ، فيقول :

على صحنِ مسبوكِ من التبرِ أملسِ

سَباني بمخطوطٍ من المسكِ أسودِ

ونكرهم في ظلم الليلِ مُؤنسي

سُويداءُ قلبي لِلأحبةِ منزلِ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 169) .



فذكر أنا الشاعر مع الآخر الزمن / الليل تصح بدلالة متناقضة فكيف يحمل السواد وظلمة الليل الفرح له ؟ إلا أنه جعل ذكر الأحبة في ظلمة الليل مؤنسًا في غربته تجاه حبيبته وعاهة عماه . وقد يتحول الزمن به إلى أن جعله يعيش في غربتين غربة الحرمان وهو بعيد عن بلدة القيروان وكذلك فقد لأبنة عبد الغني ، فيقول :

زَماني الزمانُ إلى غُربةٍ أَعاشُرُ فيها العدى العُيُظا
مع الفارِظينَ بها عُدني وأُقسِمُ لا ترَجُعُ القُرُظا
وكان إبني البرَّ عبد الغني عَطِيَّةَ رَبِّي الذي أَحَنظا
نَسيتُ بِهِ جَنَّتِي القيروان وَعَشْتُ بِهِ ناعماً في لُظي

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 73).

تشكو الأنا من الآخر الزمان الذي غيب حياته بأن جعله يعيش ويعاشر الأعداء ويعدُّ معهم مقسماً بذلك أن لا رجوع لأبنة عبد الغني الذي غيبه الموت بعد أن كان عطيّة ربه ، فضلاً عن نسيان جنة أرضه القيروان وصار عيشه يكتوى في نار الأسي والحزن بغربته . فطابع الحزن والألم والعذاب وخطره الذي يعزى إلى الزمن هو حقيقة أدركها بعض الناس والشعراء منذ الأزل باعتبار أن الزمن هو الذي فيه يتم الفعل ، (ينظر : بدوي ، 1973م : 253)، ومن شدة عذابه وجعله وحيداً مغيباً بفقدته أعز أحبابه وتاركاً أرض وطنه فراح يخاطب الدهر ، بقوله :

أَيُّهَا المُفَرَّدُ الشَّجِي عاتب الدهرَ وإشكهُ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 72).

فعتاب الأنا الشاعر وشكواه من قساوة الدهر الآخر الذي جلب له الوحدة هي التي جعلته يستجيب إليه واستمالته لكن دون جدوى لما يشتكيه ويعاتبه . مما جاء من تصورات الشاعر الأعمى الحصري من الزمن فقد جسد خبثه له سيسلب بسرعة ما يناله من نعمة ويخطفها منه ، فيقول :

خَبِثَ الزَّمانُ كما تَرينَ وأهلُهُ كُلُّ امرئٍ في وَدِّهِ تَدليسُ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 248).



وسخط وكرهه الأنا الشاعر على الآخر (الزمن) وهو يذمه وأهله ويعاديه إذ ليس له في وده إلا الخداع والتدليس في تحقيق مبتغاه وأمنيته. ويطالنا بعدائية أخرى للدهر الذي أحدث خيان قياسه في ذاته الحزن والإساءة بعد أن كان تسر به نفسه ، فيقول :

سُرْتُ بِكَ النَّفْسُ ثُمَّ سَيِّئْتُ
فَخَانَنِي الدَّهْرُ فِي القِيَّاسِ
سَجِيَّةُ الدَّهْرِ نَقْضُ عَزْمِ
وَهْدْمُ مَبْنَى عَلَى أُسَاسِ
سَمِعْتُ فِيهِ الخُطُوبَ إِنِّي
مَارِسْتُهَا أَيَّامًا مَرَّاسِ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963 م : 216) .

تكشف الأنا الشاعر بخطابه مع الآخر الدهر بخيانة نقض عزم وهدم لمبنى ، على أساس صاحبه ، مما سئم فيه المصائب والخطوب التي مارسها من جراه أيما مراس وتجربة معه . ومهما سخط على الزمن ومصائبه إلا أنه صار لديه قناعة ويقين فهو الضعيف والمنكسر والمهزوم أمام بطشه ومفاجأته الكثيرة عليه (ينظر : السعيد ، 1980م : 237) ، فعبر عن ذلك بقوله :

ظَنَنْتُ بَأَنَّ الدَّهْرَ يَبْقَى مُسَالِمًا
وَهِيَهَاتَ حَرَبُ النَّائِبَاتِ كظَوْظُ
ظَبَاتُ الهوى والهجر والعذل والنوى
وَوَاشٍ وَغَيْرَانِ عَلَيَّ حَفِيظُ

(المرزوقي والجيلاني ، 1963م : 188) .

تجسد الأنا وتظن في الآخر (الدهر) بأن يبق على سلام وسلم لكن هيهات أن يسلم من مصائبه الجسام ، بأن جلب الهجر والبعد وواشٍ كذاب ليس عليه بحفيظ أو ما يحقق آمال حياته وحبه . وهذا الشاعر الأعمى التطيلي قد تعامل مع الزمن بمفهوم لا ينفصل عن ذاته جراه ما يحدثه له من تغيرات بواقعه النفسي ، وهو الذي ينفذ ويصنع على ما يصنعه قضاء الله وقدره عليه ، فيقول :

أما الزمانُ فلا أشكو ولا أدُرُ
لا يصنع الدهرُ ما لا يصنع القدرُ



لو أن حظّي من دنياي أُنحهُ
جاءت إليّ الليلي وهي تعتذُرُ
ماذا أقولُ وقد أُنحى على جدّتي
رَبُّ الزمانِ وخطبُ كُلِّه ضررُ
تأبى خلائِقُهُ إلا مُناقضتي
حتى كأنّي في لهواته صَدِرُ
حسبي من الدّهرِ أن لو صاب مقصده
ما كان مُعتمداً بالكُفّةِ القَمُرُ

(عباس ، 1989 م : 63-64).

الأنا في هذا النص تعبر عن قسوة الآخر الزمن والدهر عما يصنعه له من قلق وعدم الاستقرار ، وحسبه من ذلك إلا الاستسلام والخضوع الذي يكتبه قدر الباري عز وجل ، وهو يضع حيلة من زمانه ودنياه أن تمنحه فرصة الأمل للوصول إلى آماله وأهدافه ، حتى جاءت ليليه تعتذر عما أصابته من بطشها ، فما حوار له وقد ألم به كل الحوادث والمصائب والضرر على عاهته وظلمة عماه فتأبى أعماله ألا أن تجلب له إلا الضد والمناقضة ، حتى كأن صبره في لهواته صار جزءاً مرأ وما حسبه من الدهر إلا أن أصاب مقصده فهو لا يرحمه وأن كانت كلفة إلى القمر . وقد يأخذ الدهر بذنوبه وقسواته أن يبادر هو والمتلقي للحذر منه إلا أنه لم يكن يحذره ، فيقول :

يا آخذني بذنوبِ الدهرِ ، بادره
من عتبه لم أكن منها على حذرٍ
هي الليلي ولم تجهل عواقبها
فانظر وأنت على حالٍ من النظرِ
واعلم بأن الليلي غيرُ آليّة
حتى تُفرّق بين القوسِ والوترِ

(عباس ، 1989 م : 66) .

الأنا الشاعر تفتح النص ب(باء) النداء لتجسد الآخر الدهر والليالي ليحذر وينادي المتلقي بعدم المبالاة وتجاهل عواقب الليالي ، فانظر على حال بطشها واعلم بأن الليالي غير آليّة مع الزمن ، فهي تفرق بتقلباتها كالفرقة بين القوس والوتر . ويتجلى الشعور بالزمن عند الأعمى التطيلي بأن الشوق والحنين الذي يتجلى بصورة طيف خيال المحبوبة كأنه حد السيف أو طرة البرد ، فيقول :



أمنك الخيال الطارقي كل ليلة
على مثل حدّ السيف أو طرّة البرد
يُباري إليّ الليل لو أنّ شافعاً
من النوم أو لولا رقيب من السهد
وليلة وإفاني وقد نمّت نومةً
وكنت أنا والنجم منها على وعد
ألم فحياً بين رُقبى ورقبة
ولا شيء أحلى من دُنوٍ على بُعد
ألم فأعداني ضناه وسُهدُهُ
وقد كان هذا الشوق أولى بأن يُعدي
وولّى فلا تسأل بحالي بَعْدُهُ
ولكن سل الأيّام عن حاله بَعدي

(عباس ، 1989 م : 33-34).

يسرد الأنا الشاعر لنا قصته مع الآخر الليل وطيفه كيف ألم به من نومه ولم يجعل من نومه إلا السهد والمعاناة التي وافته هو ونجم ليلة بوعد من زمانه ، ثم ألم محياه هو قرب المحبوبة منه أحلى من بعدها عنه ، وتكرار لفظة (ألم) ما هو إلا دليل بأن حزن وأرق نومه ظل يعاني البعد والشوق لحبيبه ، إذ لا سؤال عن حال بعدها ولكن سل الأيام بما صنعت عن حاله بمضاجع الفراق والمعاناة عنها. وتتواصل ذات الشاعر مع الآخر الزمن بلهفة التحسر على زمن ماضٍ سرت فيه حياته من العلل والأحزان ، فيقول :

ألهمي على زمنٍ راهقٍ
سرت لحظائك فيه علن
ولهمي على نظرة بالكثيب
أعطيت غيّي بها ما سأل
أبث أن ترد عليّ الشباب
وردت عليّ الهوى والغزل
ووصل الكواعب بَعْد المشيب
مرام تَقصُر عنه الحيل
أما بيننا حكّم عادل
ولو أنّه زمني ما عدل

(عباس ، 1989 م : 130-131).

فاستعادة أنا الشاعر مع الآخر الزمن الماضي ليعوض به عن الزمن الحاضر المشوب بالضعف والألم نتيجة عماه ومما يعيشه ، فزمنه الماضي جلب له دوام المواصلة وأعطاه الحب عما سأل في مكان الوصل مع تلك الكواعب ، إلا أن الزمن الحاضر



أبى عليه أن يرد شبابه بعد المشيب وقصر حيل مطالبه ، فحكمة بذلك ليس بعادل ومنصف عليه . ووقف التطيلي يبيث شكواه من الآخر الزمن الذي مازالت مصائبه المروعة تشفي غليله حتى صارت تقيم وتعد له ، فيقول :

أما يَشْتَقِي مني الزمانُ يرِوعني
وَتُعَدُّني أَرْزَاؤُهُ وَتُعَيِّمُ
تَتَكَّرُ أَحبابٌ وبانثُ حبانثُ
ولجَّتْ أعادِ بيننا وَحُصُومُ
(عباس ، 1989 م : 161).

تشكو الأنا من قسوة وجزع ما أصابه من الآخر الزمان الذي لا يكتفي مما يصيب من أرزاء وتتكسر للأحباب وبعدهم ، مما لجت خصومه وعدوه له ، ومهما شكا وجزع إلا أنه في النهاية يستسلم له ، فيقول :

أَجْزَعُ لِلزَّمانِ وَأنتِ منه
مكأنَّ الحزم من صدر اللبيب
عزاءك ، إنما الإنسانُ نُهَبُ
على أيدي الحوادث والخطوب
(عباس ، 1989م: 21).

وقد تتجلى جزع الأنا مع الآخر (الزمان) بيقين حاله كحال البشر، والإنسان وهو منهم فما عزاءه وعزاءهم عما يصيبهم من أيدي حوادثه ومصائب خطوبه إلا الاستسلام له .

الخاتمة:

بعد أن اكملنا دراسة هذا البحث يمكن أن نضع أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة وهي كالاتي :

١- تجلت ذات الشاعرين في بث أحزانها بشكل واقعي وحقيقي مع الآخر من خلال ما وجدناه في نصوصهم الشعرية ، من مشاهد الفراق والوحدة وذرف الدموع والأسى والفقدان .

٢- كانت علاقة الأنا الشاعرة مع المرأة تسير في طريقين مختلفين هما طريق المنع والصد للحبيبة ، وطريق التوحد والتوافق للأم ، وقد عبر الشاعران عن عواطفهما الوجدانية وأحاسيسهم النفسية في مواطن الانكسار والحرمان والتذلل لها .



٣- جسد الشاعران صورة الآخر المكان الأليف المحبب وغير الأليف المعادي ، وجاءت علاقتهم وارتباطهم بالمكان الأليف تحمل الجانب الإيجابي لما قدمه إليهما من تكريات مؤنسة مع الأحباب فضلاً عن التقدير والاحترام والراحة من أناس أرضه . أما المكان غير الأليف فاتجاه سلبي ، إذ أصبح مكاناً معادياً تكثر فيه الاضطرابات والأوضاع السيئة أو لا يليب طموحاتها وأهدافها حتى انبرت الأنا الشاعرة شاكية وسأمة ورافضة لهذا الآخر.

٤- تعامل الشاعران مع الزمن بصنوان لا يفصل عن ذاتهم وأبعادهم النفسية المتناغمة والمتشظية تجاه الآخر تارة يظهر أفراحه ومؤنساً له فيكون راضي عنه ، وتارة أخرى تعج صورته بالمعاناة والتعب والألم والغياب والمصائب ساخطاً عليه ، ومهما أعطى وسلب الزمن فإنه في النهاية سبب دوامة القلق والاضطراب حتى صارا على يقين بأن يعلننا له الاستسلام والضعف والانهزام أمام ذاتهم.

المصادر والمراجع :

- إبراهيم ، د. ريكان ، نقد الشعر في المنظور النفسي ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط١، ١٩٨٩م.
- أبو ديب ، كمال ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ، ط١، ١٩٨٧م.
- إسماعيل ، د. عز الدين ، التفسير النفسي للأدب ، طبعة دار العودة ، دار الثقافة ، بيروت ، (د. ت.) .
- بدوي ، د. عبد الرحمن ، الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات - بيروت ، ط١، ١٩٨٤م.
- بدوي ، عبد الرحمن ، الزمان الوجودي ، دار الثقافة - بيروت ، ط٣، ١٩٧٣ م.
- بدوي ، عبدالرحمن ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، الكويت ، ط١، ١٩٧٥م.
- البرقوقي ، عبدالرحمن ، شرح ديوان المتنبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - مصر القاهرة، ٢٠١٢م.
- الجوزية ، ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، خرج آياته وأحاديثه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣م.
- الخطيب ، بشرى ، الرثاء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ، مطبعة الإدارة المحلية - بغداد ، ١٩٧٧م.



- دافيدون ، ليندا ، مدخل علم النفس ، ترجمة : سيد طواب وآخرون ، دار ماكجروهيل - القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٤م.
- زيدان ، حاتم زيدان، جمالية المراوغة والتوظيف للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية ، دراسة في قصائد، العدد ٢، ٢٠١٧م.
- السعيد ، د. محمد مجيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ، ١٩٨٠م.
- السويدي ، ناظم حمد ، حركية الصراع في القصيدة العباسية ، فلسفة الصراع والرؤية الشعرية ، دار العرب والنور للدراسات والنشر والترجمة ، سوريا - دمشق ، ٢٠١٢م.
- سوييف، مصطفى ، الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨١م.
- الشكعة ، د. مصطفى ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٦م.
- عباس ، د. إحسان ، ديوان الأعمى التطيلي أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت ٥٢٥هـ) ومجموعة من موشحاته ، تحقيق : دار الثقافة - بيروت ، ١٩٨٩م.
- عبد العزيز ، سعيد ، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة، ط٢ ، ١٩٧٠م.
- العبيدي ، حسن مجيد ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، مراجعة وتقديم : د. عبد الأمير الأسم ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م.
- العزاوي ، د.نادية غازي ، المغيب والمعلن قراءات معاصرة في نصوص تراثية ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- مبارك ، د. زكي ، مدامع العشاق ، مصر الجديدة ، ط٢ ، ١٣٥٣هـ.
- المرزوقي ، والجيلاني ، محمد ، بن الحاج يحيى ، أبو الحسن الحصري القيرواني ، مكتبة المنار - تونس ، ١٩٦٣م.



الرسائل والأطاريح:

- الربيعي ، غني صكبان ، الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول ، أطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١م.
- زغير ،هادي مدح ، شعر السجون في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦م.
- مطلق ، حيدر لازم ، المكان في الشعر العربي قبل الإسلام ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٨٧م.

references:

- Ibrahim, d. Rikan, Criticism of Poetry in a Psychological Perspective, House of General Cultural Affairs – Baghdad, I 1, 1989 AD.
- Abu Deeb, Kamal, On Poetry, Arab Research Foundation – Beirut, 1, 1987 AD.
- Ismail, Dr. Ezz El-Din, Psychological Interpretation of Literature, Dar Al-Awda Edition, Dar Al-Thaqafa, Beirut, (Dr. T).
- Badawi, Dr.. Abdul Rahman, The Philosophical Encyclopedia, The Arab Institute for Studies – Beirut, 1, 1984 AD.
- Badawi, Abdel Rahman, Al-Zaman Al-Wajudi, House of Culture – Beirut, 3rd edition, 1973 AD.
- Badawi, Abdul Rahman, A New Introduction to Philosophy, Kuwait, 1, 1975 AD.



- Al-Barqouqi, Abdul Rahman, Explanation of Al-Mutanabbi's Diwan, Hindawi Foundation for Education and Culture – Cairo, Egypt, 2012.
- Al-Jawziyah, Ibn al-Qayyim (d. 751), The Kindergarten of Lovers and the Excursion of the Missing, his verses and hadiths were taken out: Ahmad Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, 3rd edition, 2003 AD.
- Al-Khatib, Bushra, Lamentations in the Pre-Islamic and Early Islam, Local Administration Press – Baghdad, 1977 AD.
- Davidon, Linda, Introduction to Psychology, translated by: Sayed Tawab and others, McGrawhill House – Cairo, 4th edition, 1984 AD.
- Al-Saeed, Dr. Muhammad Majeed, Poetry in the Era of the Almoravids and Almohads in Andalusia , Publications of the Ministry of Culture and Information – Baghdad, 1980 AD.
- Al-Suwaidawi, Nazem Hamad, The Dynamics of Conflict in the Abbasid Poem, Philosophy of Conflict and Poetic Vision, Dar Al-Arab and Al-Noor for Studies, Publishing and Translation, Syria – Damascus, 2012.
- Shakaa, d. Mustafa, Poetry and Poets in the Abbasid Era, House of Science for Millions – Beirut, 6th edition, 1986 AD.
- Abbas, d. Ihsan, Diwan of the Alaama Altutaili, Abi Jaafar Ahmed bin Abdullah bin Abi Hurairah (died 525 AH) and a group of his muwashahat, investigation: House of Culture – Beirut, 1989 AD.



- Abdel Aziz, Saeed, Tragic Time in the Contemporary Novel, Modern Technical Press – Cairo, 2nd Edition, 1970 AD.
- Al-Obaidi, Hassan Majid, The Theory of Place in the Philosophy of Ibn Sina, revised and presented by: Dr. Abdul Amir Al-Asam, House of Public Cultural Affairs – Baghdad, 1st edition, 1987.
- Al-Azzawi, Dr. Nadia Ghazi, The Hidden and the Proclaimed Contemporary Readings in Traditional Texts, House of Cultural Affairs – Baghdad, 1, 2002 AD.
- Mubarak, d. Zaki, Madame Al-Ashaq, Heliopolis, 2, 1353 AH.
- Al-Marzouqi, Al-Jilani, Muhammad, Bin Al-Hajj Yahya, Abu Al-Hasan Al-Hasiri Al-Qayrawani. Al-Manar Library – Tunis, 1963 AD.

Letters and theses:

- Al-Rubaie, Ghani Sakban, Time and Place in the Poetry of the First Abbasid Era, PhD thesis, College of Education (Ibn Rushd), University of Baghdad, 2001 AD.
- Zughayer, Hadi Madh, Prison Poetry in the Abbasid Era until the End of the Fourth Century AH, Master's Thesis, College of Arts, Al-Mustansiriya University, 1996 AD.
- Mutlaq, Haider Lazem Al-Makan in Pre-Islamic Arabic Poetry, Master's Thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1987 AD.